

## تلقي جماليات النداء في سورة مريم

محمد عبدالرحمن أحمد محمد و محمد داؤد محمد

<sup>1</sup> جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، - جامعة جازان أبو عريش السعودية<sup>2</sup> جامعة الأزهر، القاهرة- كلية اللغة العربية بالقاهرة - الإنسانية جامعة جازان

## المستخلص:

عاجت الورقة جماليات التلقي في النص القرآني واختارت النداء في سورة مريم حقلاً لذلك، وسارت وفق المنهج الوصفي المدعوم بالوصف والتحليل ومرتكزات نظرية التلقي، وهدفت إلى الكشف عن جماليات التلقي في نداء زكريا ويحيى ومريم وإبراهيم حيث عرفت جماليات التلقي وبينت أدواته كالاتسجام والانسجام وغير ذلك، واستعرضت دلالة النداء وبلاغته وذكرته بالسياق العام لسورة مريم، ثم تناولت الجمل الندائية في السورة واستخلصت جوانب التلقي التي صاحبت قراءة جمل النداء وتوصلت لمجموعة من النتائج منها أن جماليات تلقي في نداء زكريا تكمن في الخروج عن المألوف والحذف الذي وسع مساحة الشعور والتخيل بين المعطى المحسوس والإدراك الحسي مما زاد قوة المعنى المراد، لكل فكرة إيقاعها المناسب من حيث طبيعتها وطريقة عرضها، يعد التنوع في الأسلوب والتردد بين الخبر والإشياء في التركيب رافداً أصيلاً في تابع النداء في السورة.

**الكلمات المفتاحية:** مرتكزات التلقي، الجملة، الحوار النص.

## ABSTRACT:

The paper addressed the aesthetics of reception in the Quranic text and selected 'call' (nida') in Surat Maryam as a field of study, based on the descriptive analytical method and the principles of receiving theory. This paper aimed at revealing the aesthetics of receiving in calling Zakaria Yahya, Maryam and Abraham, defining the aesthetics of receiving, identifying its tools such as moderation and harmony, etc, and reviewing the denotation of 'call' (nida') and its eloquence and reporting the general context of Surat Maryam. The paper also identified the sentences pertained to 'call' in the Surah, showed the aspects of receiving that accompanied reading sentences pertained to 'call' (nida'). The paper revealed some finding some which were that the aesthetics of receiving in calling Zachariah lies the uncommon and omission which broadened the space of feeling and imagination between what is tangible and what is sensually realized which strengthened the intended meaning. Each idea has its favourable rhythm in terms of its nature and the way it is presented. The diversity in style and wavering between news and construction is considered a genuine source of 'call' (nida') in Surat Maryam.

## المقدمة:

هناك العديد من النظريات والمناهج النظرية والتطبيقية، التي نظرت في الشأن اللغوي قديماً وحديثاً، منها ما اقتصر على فرع لغوي واحد، أو أكثر منها صار جسراً بنيانياً رابطاً بين فروعين أو أكثر، رمية خلف بغية مختارة، وهدف مرسوم يلامس المعنى وفهمه، في جانب من جوانبه أو شكل من أشكاله، جاءت هذه الورقة لتحصد بعض لطائف المعنى وانعكاساته النفسية لدى المتلقي، مزججة بين اللغة والنقد والنحو وشيء من البلاغة والأسلوبية، منطلقاً من نص قرآني مقسّس هو سورة مريم، هادفة إلى الكشف عن جماليات التلقي في نداء زكريا ومريم وإبراهيم، مستتقة ما فيه من جماليات النظم والتركيب وإبداعات التصوير والتشكيل، مستعينة في تحقيق

ذلك بالمنهج الوصفي، مقسمة نفسها إلى قسمين الأول: عن جماليات التلقي ومركزاته، والنداء وبلاغته، والسياق العام لسورة مريم، والقسم الآخر عالج الجماليات في نداء زكريا، وقصة مريم، وحوار إبراهيم مع أبيه، ثم كانت الخاتمة وفيها عدت النتائج ولاحت التوصيات.

### جماليات التلقي:

يُعدُّ لفظ التلقي من المصطلحات النقدية اللغوية القديمة المتجددة، وقَّمه نابغ من خصوصية مفهومه المرئطة باستقبال الرسالة اللغوية، وتجده آت من كونه مرتكزاً نظرية نقدية حديثة، تُعَلَى من سلطة القارئ في فهم النص وتحديد أبعاده كلها، وبمفهومنا الخاص يمكن أن نقول إن التلقي هو تحقيق الانفعال والوصول إلى التفاعل الوجداني لدى قارئ النص أو مستقبله أو مستهلكه. فالقارئ بما يملكه من خبرة ثقافية ومعرفة علمية وسعة تخيّل، يُكوّن فهمه الخاص للنص فيسبر أغواره ويستتطق ما استغلق من معناه وكنهه، وترتكز نظرية التلقي على أهمية إيصال المادة الأدبية وتقليبها على وجوهها لإدراك أبعادها الجمالية والمعرفية لذلك تصب اهتمامها على آلية الاستجابة والأدوات التي يحملها المتلقي عندما يواجه نصاً ما" (فظوم 2013: 5)، ومن مركزاتها كذلك التي حصرها بعض النقاد: "أفق الانتظار، والتحقق والتأويل والنص المفتوح والمسافة الجمالية والتأثير والتواصل" (الواد 1985: 80) وبمعنى أشمل حددت نظرية التلقي (القراءة) "مجموعة من الآليات التي تعتمد عليها نظريات القراءة، كالمسافة الجمالية، وأفق انتظار القارئ، وملء الفراغات، والخطة الاستراتيجية، والقطب الفني والجمالي، والقطب الدلالي، والتناص، والسياق، والوقع الجمالي، والتأويل، والاتصال الأدبي، والمعنى، والنص المغلق، والنص المفتوح، والصورة الذهنية، وفجوات النص، والتفاعل، والروابط والاستنتاجات، والمعرفة الخلفية، والإطار المرجعي، والأعراف والتقاليد والقواعد، والتجربة المألوفة، والاستجابة، ولذة النص، وإشباع الرغبة، ومتعة القراءة، والهوية الذاتية... ومن ثمّ، فقد كانت نظريات القراءة تتبع منهجية قائمة على الإدراك التوقعي والافتراض المسبق، والفهم الداخلي للنص، والتأويل السياقي والذاتي" (حمداوي، 2015: 9).

وللتلقي غاية جمالية معرفية، تشترك في تحصيلها الحواس الثقافية والتأمل والخيال، والمتلقي يعيد بناء الأثر المعرفي في النص ولكنّه في الوقت ذاته ينتوق أبعاده الجمالية" (فظوم 2013: 5) ومن أهم عناصر الجماليات التي رصدناها مايلي:

الشكل ويتمثل في الصورة التي تفرض علينا نوعاً من التركيز في المعنى، والتواصل المنشود الذي يحدد شكل الوعي ومضمونه بين منشئ النص ومتلقيه، والاعتدال في وضوح المعنى والإبانة والبعد عن مناقضة المقصد، والانسجام بين العناصر المكوّنة للنص المتمثلة في الفكرة والثيمة أو الفكرة الأساسية والأفكار الجزئية والجمال والكلمات والصور... "ولم يعد تخفى على دارسي النص الشعري؛ متذوقيه وناقديه أن الصوت المنبعث من الحزن والكلمة بأكملها لا يأتي به المبدع لمجرد الزينة ولأداء محسن شكلي، وبانت الدراسات التي تُعنى بالصوت وقيمه في النص الشعري تهتم بالبحث عن الدافع المعنوي، الذي جعل المبدع يختار صوتاً دون غيره... وبالتأمل والدرس المتأنّي نجد علة ذلك واضحاً من خلال ارتباط هذه الصوت بالدلالة التي يسعى نحوها النص" (الدسوقي، 2008: 185) والوحدة والتلازم، وقوة التخيّل، الإيجاز، كسر أفق التوقع في تسجيل الرؤية القرآنية وحصرها داخل جنس لغوي معين "فالمسافة الجمالية هي ما تحدّثه الأعمال الأدبية الجيدة والحداثيّة من

مسافة بين عالم النص وعالم القراءة، أو ما يحدثه من تفاوت بين ما تعود عليه من نصوص سابقة، وما يطرحه النص الجديد من تغييرات في الأفق الأدبي والذوق القرآني. (حمداوي، 2015: 29ص).

عندما نطبق مثل هذه النظريات بمرتكزاتها في النص القرآني "لا نبحث عن بعض الإشارات المتفرقة لإثبات وجود علم من العلوم الحديثة فيه، بل نستخدم معطيات ذلك العلم لغرض الوصول من خلالها إلى نظرية معينة قد ضمنت ثنايا هذا الخطاب المقتس" (محمد، 2005: 9)، ويرى الجرجاني "أنا إذا كنا نعلم الجهة التي منها قامت الحجة بالقرآن وظهرت وبانت وبهرت، هي أن كان على حد الفصاحة تقصر عنه قوى البشر، ومنتهياً إلى غاية لا يطمح إليها بالفكر، وكان محالاً أن يعرف كونه كذلك إلا من عرف الشعر الذي هو ديوان العرب وعنوان الأدب" (الجرجاني، 1992، 8)، فتطبيق مثل هذه النظريات على النص القرآني يوضح الفرق الشاسع بينه وبين كلام البشر، ونحن على قناعة راسخة أن الخطاب القرآني ونصه هو الذي يشكل النظام اللغوي لا النظام اللغوي هو الذي يشكله، فللقرآن خصوصية تتمثل "في التمازج المتحقق في بؤدقته بين بعده الجمالي والتواصل، فلا أهمية تذكر للإشارات الجمالية دونما انخراط شتاتها عبر بؤرة دلالية واحدة" (محمد 2005: 10).

وقد بنى جلّ القدامى نظرتهم في التلقي على حضور سلطة قائل النص وقصديته، فهو الذي يحدّد الفكرة وجوهرها ويختار لها المفردة المناسبة، وبناءً على هذه النظرة غاب دور المتلقي في قراءة المعنى، وإذا تعلّق شأن المعنى بالنص القرآني أناب أناس -مفسرون وفقهاء وأصوليون - عن المتلقي في فهم المعنى العام، وبطل الفهم الخاص الذي يبني عليه حكم شرعي ولا يتبعه عمل فقهي، يظل هذا الفهم مشروعاً مشرعاً، يتجلى وفق مؤهلات المتلقي وطبيعة تكوينه الفكري وقدراته العلمية الأدبية ومهاراته اللغوية.

والقرآن سفر محكم صالح لكل زمان ومكان، وهذا الصلاح يكون في هداية البشر، وتصحيح المعتقد، وتوجيه العمل، وتعيد القانون، يصاحب ذلك الشعور والإحساس وعمق التخيّل وهذه الصفات الثلاث خاصة لطبيعة تعلقها ببواطن النفس البشرية وخباياها، وهذه الحالة ستبقي نوعاً من تأويل النص القرآني حسب وعي القارئ وثقافته، وقد يتأرجح لديه في كل قراءة، لأن القرآن الكريم يجمع ألواناً شتى من القراءات الفكرية العقديّة، والأدبية الإبداعية إلى غير ذلك مما يفوق تصور قدرات البشر، ويتجاوز محطات الفكر في كل عصر، " وكل قراءة رهينة بصاحبها تبقى السبل المؤدية إلى نقطة المعنى مختلفة، ولكل قارئ الحق في أن يخطّ لنفسه سبيلاً جديداً على أن تصل جميع القراءات إلى النقطة ذاتها" (محمد 2005: 22) أو ما يقرب منها التي لا تبرح في جوهرها عقيدة الإسلام وبعدها الشمولي، "فإدراك معاني القرآن لا يحتاج فقط إلى القاموس وإلى الشرح وإنما يحتاج - قبل كل شيء - إلى نفس صافية وروح مشرقة تستطيع أن تشف، لا المعاني وحدها، ولكن ما وراء المعاني وألا تقف على مدلول اللفظ وحده ولكن على هذا الضوء النفسي الذي ينبعث من وراء المعنى" (صبيح، 1983: 122)، وعلى ضوء هذه المعطيات نتناول جماليات تلقي النداء:

#### دلالة النداء وبلاغته:

النداء في اللغة مصدر الفعل نادي بمعنى الصوت والنداء (ابن منظور، 2003، 14: 228) وتكسر نونه وتضم (النداء والنداء) وفي الاصطلاح عرفه النحاة "من منطلقين اثنين حكمي إعرابي، ومن منطلق وظيفي،

وقد تبنى البلاغيون التعريف الوظيفي للنداء" (تركي 2007: 136) وهو طلب المخاطب إقبال المخاطب عليه بحرف ناب مناب أَدْعُو أو أُنَادِي.

والنداء عند النحاة من أقسام المفعول به، و لابد من تقدير فعل متعدّد لذا قدره ب(نادى) وجعلوه واجب الإضمار لأسباب منها " الاستغناء بظهور معناه، وقصد الإنشاء، وإظهار الفعل بنقله إلى الأخبار وكثرة الاستعمال، والتعويض عن الفعل بحرف النداء" (فارس، 1985: 183)، وحروف (أدوات) النداء ثمانية هي: أ، وآ، وأي آي يا وأيا، وهيا، ووا، لكل حرف منها وظيفة خاصة فالهمزة لنداء القريب، والياء للبعيد، و(وا) للندبة، وقد ينزل البعيد منزلة القريب أو العكس لدواعٍ بلاغية، والأغراض الأصلية للنداء هي تنبيه المخاطب (المنادى) وتهيئته لاستقبال شيء ما (طلب- إقبال) ومن الدواعي البلاغية المُحَرَّجَة له " الإغراء والتحسر والتفجع، والتحبب والاستعطاف، والتحنن والتعظيم والتحدي والتعجيز والتشجيع ... (تركي، 2007: 91-94) والسياق وملاسة الحال هما اللذان يحددان نوعية النداء وداعيه البلاغي، "ويصح حذف حرف النداء (يا) دون غيره، حذفاً لفظياً فقط مع ملاحظة تقديره وحده..... وهناك مواضع يُمتنع فيها الحذف ويُقَل ويجوز(عباس حسن، د ت 4/3، 4)

والنداء هو البنية الخطابية الأكثر دوراناً على الألسنة والأقلام لما تتمتع به هذه البنية من قدرة على التعبير عن مختلف الأغراض والمشاعر الإنسانية" (تركي، 2007: 137)، والنداء هو المؤشر الأول للتواصل من استدرج المخاطبين والإقبال على الاستماع باستخدام سلطة المتكلم المنادى، و"النداء باب حيوي من أبواب النحو له قيمته وأهميته البالغة، ولعله أكثر أبواب النحو استعمالاً في كل مكان ودوراناً على الألسنة، ويلاحظ أن النداء يأخذ خطأً هلياً وسفلياً وأفقياً وحقيقياً ومجازياً، وينادى الفرد والجماعة وينادى العالم المرئي وما وراء الطبيعة وينادى العاقل وغيره والحي والجماد" (فارس 1985: 6)، والنداء من الأساليب الإنشائية وهو من الجمل الفعلية نحوياً عند معظم النحويين واللغويين إلا عند بعض المحدثين الذين حكموا عليه غير ذلك الحكم، يقول برجستراسر: "ومن الكلام ما ليس بجملة بل هو كلمات مفردة أو تركيبات وصفية أو إضافية أو عطفية غير إنشائية؛ مثال ذلك النداء فإن "يا حسن" ليس بجملة ولا قسم من جملة وهو مع ذلك كلام، ويشبه الجملة في أنه مستقل بنفسه لا يحتاج إلى غيره مظهراً أو مقراً...والنداء ومثاله نسميها أشباه الجملة" (برجستراسر، 1994: 125) وافقه في ذلك شكري عياد بقوله: "إما المنادى فهو شبه جملة باتفاق، لأنه غير داخل في الإسناد" (عياد، 1992: 130) وكذا حماسة عبد اللطيف (عبد اللطيف، دت: 33).

"الكثير في القرآن الكريم حذف (يا) النداء في نداء (رب) وقد ذكر (يا) في موضعين هما: " وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا {الفرقان/30}.. " و " وَقِيلَ يَا أَرْبِئِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يَتُوبُونَ {الزخرف/88} وحذف (يا) في نداء الرب في خمسة وستين موضعاً (عبد الباقي، 1364هـ، 287-288)، "ولم يقع نداء في القرآن بغير (يا) ولذلك لا يقدّر غيرها من حروف النداء عند الحذف" (عضيمة، 1404، 1/3/299).

#### سورة مريم:

سورة مكية ترتيبها في المصحف التاسع عشر، عدد آياتها ثمان وتسعون، هي السورة الرابعة والأربعون في ترتيب النزول؛ نزلت بعد سورة فاطر، وقبل سورة طه في السنة الرابعة من البعثة، تبدأ بخمسة أحرف مقطعة هي (كهيعص)، ذكر المولى الحق فيها عدداً من الأنبياء المرسلين وربط ذكرهم بقضية الذرية والإنتاج ونفى

ذلك عنه - سبحانه جلّ في علاه- جاء في الظلال: "يدور سياق هذه السورة على محور التوحيد; ونفي الولد والشريك; ويلم بقضية البعث القائمة على قضية التوحيد، هذا هو الموضوع الأساسي الذي تعالجه السورة، كالشأن في السور المكية غالباً، والقصص هو مادة هذه السورة، فهي تبدأ بقصة زكريا ويحيى، فقصة مريم ومولد عيسى، فطرف من قصة إبراهيم مع أبيه، ثم تعقبها إشارات إلى النبيين: إسحاق ويعقوب وهارون وموسى وإسماعيل، ولديس، وآدم ونوح. ويستغرق هذا القصص حوالي ثلثي السورة، ويستهدف إثبات الوحدانية والبعث، ونفي الولد والشريك، وبيان منهج المهنيين ومنهج الضالين من أتباع النبيين" (إبراهيم، 2003، 4/ 2300).

ومما لاحظناه كثرة النداء في هذه السورة وتعدد أساليبه فقد ورد ببنيته العميقة لفظاً في ثلاثة مواضع هي إذ نَأَى رَبُّهُ نَدَاءً خَفِيًّا وَ3 فَذَنَابُهَا مَن تَحْتَهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَلَىٰ رَبُّكَ تَحَدُّكَ سَوِيًّا (24) ذَا أَيِّهَا مَن جَادِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبَاهُ نَجِيًّا 52 وَبِأَيِّ مَلْفُوظَةٍ أَوْ مَحْضُوفَةٍ فِي اثْنِي عَشَرَ مَوْضِعًا هِيَ:

قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْئًا (4)

يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ (7)

قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (8)

قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّي آيَةً (10)

يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (12)

فَأَنذَرْتُ بِهِ قَوْمَهُ لِيُلَاقِيَهُمْ أَهْلُهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَالْتَمِسْهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (27)

يَا أُخْتُ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعْثًا (28)

لِلَّذَلِيلِ يَا أَدَبُ لِمَ تَعْبُدُهُمَا لِيُؤْمِنَا بِمَا كَانُوا عَلَىٰ لَدُنَّا بِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ {مريم/42}

يَا أَدَبُ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعَطْمِ مَا لَمْ يَأْتِكُ فَمَا تَدْبِعِي أَهْلَكَ طُلُوعًا سَوِيًّا {مريم/43}

يَا أَدَبُ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا {مريم/44}

يَا أَدَبُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُسَكِّنَ عَبَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا {مريم/45}

قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ تَمَنَّىٰ لِي خَيْرًا لَّيَكُونَنَّ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَلٌ كَتَبْتُ لَهُ أَجْرًا مِثْلَ مَا تُكْتَبُ لِي لِيُؤْتِيَ عَمَلِي أَجْرًا مِثْلَ عَمَلِهِمْ لِي أَلَمْ أَخْلُقْكُمْ مِنْ نَارٍ لَّيْلِيَّةٍ وَأَنَا الْبَاقِيَّةُ مِنْ نَارٍ نَّارِيَّةٍ أَفَتَعْبُدُونَ مَا كَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ قَبْلُ وَتَعْبُدُونَ مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ {مريم/46} قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَلَسْتُ عَجْرًا

لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا {مريم/47} وَأَعَزَّلَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ نُونٍ فَادْعُوا رَبِّي عَنِّي لَا أَكُونُ بِدَعَاءِ رَبِّي

شَيْئًا {مريم/48} فَلَمَّا أَعَزَّلَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَكُونُ مِنَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ لِيُتَّبَعَ غَوْبَ وَكَلَّ جُنْدًا نَبِيًّا {مريم/49}

ففي كل جملة ندائية في السورة براعة تصوير ودقة تعبير متناهية تناسب الحالة النفسية التي تصفها وتتوافق مع الجو العام للسورة وسنحاول الكشف عن جانب جماليات التلقي في كل جملة من تلك الجمل، ومن المداخل المناسب لهذا القول أن نستعرض جانباً إحصائياً لنداء هؤلاء ....

"جاء نداء (مريم) في القرآن في خمسة مواضع ثلاثة من الملائكة ونداء من زكريا وآخر من قومها" (عضيمة 1404، 1/ 3/ 602)، ونداء (إبراهيم) عليه السلام كان في أربعة مواضع اثنان من الله تعالى وواحد على لسان والده وواحد على لسان قومه" (1404: 1/ 3/ 601)، ونداء (زكريا) عليه السلام كان في موضع واحد من الملائكة" (1404: 1/ 3/ 601) تكرر في آيتين.

## القسم الثاني: جماليات التلقي في نداء زكريا ومريم وابراهيم

## نداء زكريا:

قال تعالى: لَنُكَرِّمَهُ بِرِجْءِكَ عِنْدَ رَبِّكَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (3) ( قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَدَّ بِحِيَابِي الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (4) ) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ رِأْيِي وَكَانَتْ أُمَّتِي عَاقِبًا فَلَمْ يَكُنْ لِي مِنَ الْغُلَامِ وَلِيًّا (5) لَكَرِهْتُنِي وَعَدَّ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْتَبَاهُ رَبُّ رَضِيًّا (6) زَكْرِيَّا إِذَا نَبَّشْتُك بِعَظْمِهِ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلِهِ سَمِيًّا (7) قَالَ رَبِّ إِنِّي لَمَكُنَّ مِنَ الْكَاذِبِينَ (8) قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَطِيٌّ هَيْنَ وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا (9) رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَةُ تَكُ أَلَّا تَكَلَّمَ النَّاسُ بَلَغًا لِي بَلَّغًا سَمِيًّا (10) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بِحَمْدِ رَبِّكُمْ وَرَبِّكُمْ وَارْتَضُوا لِي آيَةً قَالُوا إِنَّا لَنَرِيكَ فِي السَّمَاءِ مُتَكَلِّمًا (11) فَجَاءَ زَكْرِيَّا فَدُعِيَ بِالسُّورَةِ الَّتِي كُنَّا نُتْلَى مِنْهَا لِأَنْ يَسْمَعَهُمْ إِن يَسْمَعُ سِرًّا وَإِنْ كَانَ مِنَ الْبَعِيدِ (12) وَإِن يَدْعُهُمْ فِي الْمِحْرَابِ مُخْفًا إِذْ يَدْعُوهُمْ كَذَبْتَ الْبَعْثَ وَمَنْ يَدْعُكُمْ بِهِمْ يُبْعَثُوا (13) وَإِن يَدْعُهُمْ فِي الْمِحْرَابِ مُخْفًا إِذْ يَدْعُوهُمْ كَذَبْتَ الْبَعْثَ وَمَنْ يَدْعُكُمْ بِهِمْ يُبْعَثُوا (14) ) وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا (14)

لقد ورد النداء في هذا النص الحوارية سبع مرات، خمس منها ينادي زكريا ربه:

- ( قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي.... )
- ( وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا )
- ( وَاجْتَبَاهُ رَبُّ رَضِيًّا )
- ( قَالَ رَبِّ إِنِّي لَمَكُنَّ مِنَ الْكَاذِبِينَ )
- ( قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً... )

ونداء صدر من الملائكة:

( يَا زَكْرِيَّا إِذَا نَبَّشْتُكَ بِعَظْمِهِ )

ونداء من الله ( عز وجل ) ليحيى

( يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ )

ولئن كان ذكر الرحمة عنوانا لقصة زكريا: (نكر رحمة ربك عبده زكريا)، لقد كانت جملة الإخبار بالنداء هي مفتحتها: (إذ نادى ربه نداء خفياً) ثم إن ثمة اكتسافاً جديداً اكتسافاً لفظ (نداء) النكرة تعظيماً والواقع مفعولاً مطلقاً بيئياً للنوع بعد نعتة بلفظ خفياً بما يشي من توارٍ عن أسماع الناس وأبصارهم، ليكشف لربه عما يتقل كاهله ويكرب صدره، مسقطاً أداة النداء (يا) دون غيرها من أدوات النداء" فقد وردت في استعمال اللغة محذوفة (عيد، 1975: 498): (قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً)، فهو يناجيه في قرب واتصال دون واسطة إذ إن المكروبيين يستريحون للبه، وتعوزهم الشكوى ليريحوا أعصابهم من العباء المرهق والثقل المضني "لقد عهدوا بأعبائهم إلى من هو أقوى وأقدر؛ ليستشعروا صلتهم بالجناب الذي لا يضام من يلجأ إليه" (إبراهيم، 1412، 4: 2302). وفي الحقيقة أن حذف (يا) في القرآن كثير، و "كثير حذف (يا) في القرآن من الرب تنزيها وتعظيماً، لأن في النداء طرفاً من الأمر" (السيوطي، دت، 4: 189) وقال ابن الأنباري تعليلاً على قوله تعالى: (ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم) (البقرة، 89) "وتقتلون هو الخبر، ثم حذف حرف النداء، كما قال الله تعالى: (يوسف أعرض عن هذا) (يوسف، 25)، وكما قال الله تعالى (يوسف أيها الصديق) (يوسف، 46) وحذف حرف النداء في كلامهم كثير" (ابن الأنباري، 1996، 2: 720)

ثم إن زكريا أضاف المنادى إلى ياء المتكلم المحذوفة جوازاً (ابن مالك، 1990، 3: 281) فبان الانتماء بهذا الترفيل، كما أن تصدير الجملة الأولى بالمصدر (نكر) بوح يرفع مقام نبي الله زكريا واستجابة لدعوته وفي (ريك) خطاب لنبيينا محمد (صلى الله عليه وسلم) (!)، تدل على أعلى مراتب الإنسان: العبودية لله تعالى، فما دام الله ربه، فنبيينا عبده، وزكريا عبده، فاجتمعا في هذه المكانة العلية فبان التعالق بين الجملتين.

لقد سلك زكريا الترتيب المنطقي، فقدم شكواه وبثها ثم توسل إلى ربه بما سلف من الاستجابة ويُسْتَحَبُّ للمرء أن يذكر في دعائه نعم الله عليه وما يليق بالخضوع: (قال رب إني وهن العظم مني، واشتعل الرأس شيبا، ولم أكن بدعائك رب شقياً). ثم إنه صدر الجملة الاسمية المقيدة ب (إن) المؤكدة والمضافة لياء متكلمه (إني) وخبرها الجملة الفعلية: (وهن العظم مني) "ولما ذكر العظم لأنه عمود البدن وبه قوامه وأصل بنائه، فإذا وهن كان ما وراءه أهون، ورحته لأن الواحد هو الدال على معنى الجنسية ولو جمع لكان قصداً إلى معنى آخر وهو أنه لم يهن بعض عظامه، ولكن كلها" (الزمخشري، 1407، 3: 4، القرطبي، 2003، 11: 76) ثم استطالت الجملة بالعطف (واشتعل الرأس شيبا) كاسرة المعيار وخارجة مخرج الاستعارة بإسناد الاشتغال إلى منبت الشعر وهو الرأس، وجاءت (شيبا) تمييزاً، ومن هنا كانت أحوال التركيب قادرة على أن تكوّن مسارب جيدة تناسب منها مواجيد النفس.

لقد اطرحت التعبير هنا النظام الآلي للغة، لينطلق إلى طاقات تعبيرية ثرة يمتاح منها، جماليات التلقي فيما يسمى بالخروج عن المألوف أو الانحراف المعياري بتجاوزه قوانين الاختيار ولخلافه المتوقع بحيث يحقق نوعاً من التفاعل النامي بين إحياء الكلمات.

ثمّة إضافة أخرى وهي أن تكرار النداء مرتين في آية واحدة، كشف مدى تضرع زكريا لربه وحرصه على قرينه منه، ومنح المعنى الدلالي شحنة إضافية قوية التداعي (رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك ربي شقياً)، ثم يسوق السبب: يرثي ويرث من آل يعقوب، واجعله رب رضيعاً)، ويقال ورثته، وورثت منه لغتان: وقيل (من) للتبعيض لا للتعدية (الزمخشري، 1407، 3: 5)؛ لأن آل يعقوب لم يكونوا كلهم أنبياء ولا علماء.

جاء النداء منصهراً في بوتقة التركيب العام مؤزراً المعنى السياقي للنص، ولأنك لتحس ذلك بوضوح بالغ حين تلحظ كثرة الحركات الطويلة المتضافرة مع النداء المتردد لإبراز إطالة أمد التضرع والشكوى: (إني - مني - بدعائك - شقياً - الموالى - ورائي - كانت - امرأتى - عاقراً - ولياً - يرثني - آل - يعقوب رضيعاً)، ثم إن حديث زكريا هنا ليس في جوهره إلا وقفة متأملة مستغرقة في التمعن يحلو معها إطالة الشكوى والتضرع، هذا التضرع ناسبه هذا المعادل اللغوي الذي تبدي في تردد النداء مع كثرة الحركات الطويلة، وكأن هذا التضرع يستدعي بطء الإيقاع والإطالة في المد وتكثيره؛ "فالحركات الطويلة - أي أ - كان نوعها - أطول مدى من أي صامت، فهي تستغرق من 225: 350 على 1000 م / ث، في حين تتراوح مدة النطق بالصوامت من 60: 170 على 1000 م / ث" (العاني، 1983، 115).

والمتوسم الآيات يلحظ أن زكريا في اثنتين من نداءاته الخمسة شق بهما تسلسل الجملة وبدكها في حين صور النداء في البقية:

- (قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي....)



- (قَالَ رَبِّ أُنِّي يَكُونُ لِي غُلَامًا.)

- (قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً..)

- (وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا)

- (وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا)

لقد أکسب هذا الاعتراض بالجملة الفعلية الندائية - إذ إن المنادى مفعول في المعنى لأنه مدعو (ابن جنى، 3، 1987: 36) في الجملتين الأخيرين تنوعاً " فالاعتراض يدل على امتداد نفس المتكلم، ويكسب الكلام جمالا ويمنحه قوة" (ابن جنى، 3، 1987: 36) وهو في حقيقته وسيلة لإذابة جملتين إحداهما في الأخرى فيكسر بهذا النداء المعترض حالة التضرع.

ولئن ورد النداء في المرات الثلاثة الأولى على لسان زكريا محذوف الأداة لقد ورد النداء بالأداة من ملائكة الله (جل شأنه)، يقول الشنقيطي "في هذه الآية الكريمة حذف الل المقام طيه، وتقديره: فأجاب الله نداءً فزودي بزكريا الآية، وقد أوضح جلي وعلا في موضع آخر هذا الذي أجمله هذا، فبين أن الذي نادى بأهل الملائكة، وأن النداء المذكور وقع وهو قائم يصلي في الموضع الذي قاله تعالى: فذانداه الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يدعوك يدعي صدقاً بكلمة من الله وسيناً وصوراً وذبياً من الصلحين (آل عمران 39) (الشنقيطي، 1995، 3: 367)، ورد النداء بعد حذف لم يصرح به؛ إذ جاء النداء مباشرة دون تمهيد بما يدل على الاستجابة، فلم يقل القرآن فاستجبنا له ونادينا: يا زكريا، وفي هذا تعجيل بالبشرى وأبلغ في التأتي للمراد، فما إن نادى ربه حتى سمع نداء ربه فعرف أنه المقصود لا سواه فأصاخ السمع خافق القلب، راغب الخير، وزاد من تعميق هذا الشعور مجيء الجملة الاسمية المقيدة ب(إن) المؤكدة المتصل بها (نا) وخيرها الجملة الفعلية الدائرة في فلك المضارع وفاعله أيضاً الضمير نحن المستتر، فظهر تأكيد البشرى، بمؤكدات تساوقت بشكل جمعي: بالنداء والتأكيد ب(إن)، ثم تكرار الضمير وأخيراً تسمية الغلام فثبت حصولها؛ إذ إن سماع البشرى راحة؛ فالإنسان يظل مستوفز الأعصاب، لا يدري أيسمع بشرى أم إنهلطلى يزجي له ما يزجي، ويد قال له ما يد قال.

أما في نداء عبده يحيى: (يا يحيى خذ الكتاب بقوة)، فقد ترك السياق فجوة بين المشهدين على طريقة عرض القرآن الفني القصصي ليبرز أهم الحلقات الحيوية (إبراهيم، 1412، 4: 2304)؛ فمشهد نداء يحيى هنا بعد حذف لم يصرح به مشهد رائع عظيم يدل على مكانة يحيى، فلم يذكر الله عز وجل خير مولده وطفولته، بل تجاوز ذلك كله إلى أن أمره بأخذ الكتاب بقوة؛ فانه ينتدبه للرسالة، ثم إن في هذا أيضاً تمثيلاً مع غرائبية القصة، فالكلام لتوه قد فرغ من سوق البشرى، ثم إذا به يناديه مكلفاً إياه الرسالة، وهو صبي يافع، وتتجلى روعة التلقي وجمالياته في شكل الجملة الفعلية الإنشائية التي أعقبت النداء مباشرة (خذ الكتاب بقوة) فالقوة هنا صفة مجازية تناسب عنفوان الصبا وفتوة الشبيبة وفيها ملمح الأمر الساطع في مجابهة الباطل والصدح بالدعوة مع كل ذلك جاءت الآية (...ولم يكن جباراً عصياً) شارحة ضرب هذه القوة ومستوى المجابهة والمواجهة إنها قوة في غير عنف، ومواجهة دون صلف.

النداء في قصة مريم:



أما في حوار مريم مع قومه فقد ورد النداء مرتين اثنتين صدرا من جهة واحدة هي قومه: (يا مريم لقد جئت شيئا فريا، يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا). نداءان متخذان مهيع التنوع سبيلا، فمرة باسمها وأخرى ملفية عن طريق المنادى المضاف: (يا مريم لقد جئت شيئا فريا، يا أخت هارون). لقد لَوْنُ النداءُ بأطمارٍ من التائب الممرور في الأول ومزيد منه في الثاني، ومتبوعا في الأول بجملة مثبتة ماضوية دائرة في ماضي المجيء منجذبة إليه ومقيدة بمؤكدين (لقد) فثبت حصول الأمر في اعتقادهم، ومتبوعا في الثاني بجملة اسمية منفية منسوخة ب(كان) ومؤكدة بتكرار النفي: (ما كان أبوك.... وما كانت أمك).

إن هذا التقابل بين الجملتين التابعتين للنداء (لقد جئت شيئا فريا (27) يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء) كان أمك بغيا} قد نقل الإحساس بالفكرة وعقدها، وهو وسيلة لإثراء الدلالة من خلال الجمع المباشر الفجائي بين وحدتين متقابلتين، وهذا ما يمكننا وصفه بالمفارقة التصويرية في التلقي وجمالياته التي تقوم على إبراز التناقض بين طرفين كان من شأنهما التوحد أو استنكار الاختلاف والتفاوت بين أوضاع كان من شأنها أن تتفق وتتماثل، أو بتعبير مقابل بل تقوم على افتراض ضرورة الاتفاق فيما واقعه الاختلاف (زايد، 1981، 137).

#### النداء في حوار إبراهيم مع أبيه:

قال تعالى:

وَأَنْذِرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (44) لَقَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (42) يَا أَبَتِ لِمَ تَقُولُ مَا لَا يُحْسِنُ الْعِلْمَ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (43) يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ الشُّطْرَانَ إِنَّ الشُّطْرَانَ كَانُوا لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (44) يَا أَبَتِ إِنَّي أَخُفُّ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشُّطْرَانَ وَلِيًّا (45) قَالَ ارْجِعْ أُنْتِ عَنِ اللَّهِ تَبِي يَا إِبْرَاهِيمَ لَدُنْ لَمْ تَدْعُهُ لِأَرْحَمِكَ وَأَهْرَجَنِي مَلِيًّا (46) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (47) وَأَعِزِّ لَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ نُونٍ لِلَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَى أَلَا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شُعِيًّا (48) فَلَمَّا اعْتَرَاهُ وَهُوَ يَدْعُونَ مِنْ نُونٍ لِلَّهِ وَهَذَا لَهُ إِسْحَاقُ وَيَعْقُوبُ وَكَأَلَّا جُنْدًا نَبِيًّا (49).

تكون هذه الآيات نسيجا نصيا منسجما متماسكا تخللته جمل النداء المتتابعة، سياق عام جاء فيه حوار إبراهيم مع أبيه، بعد مهاد بفعل الأمر المصتر بالواو ليضاف إلى سابقه (نكر) - واذكر في الكتاب مريم - واذكر في الكتاب إبراهيم) ليحدث الربط بين وحدات السورة، ثم وصف وتعليل يتوقف معه الحدث (كان صديقا نبيا)، وهذه الجملة معترضة بين البديل والمبدل منه، حيث إن (إن) اسم زمان واقع بدلا من (إبراهيم)، والمراد: واذكر في إبراهيم زمان قوله لأبيه.

إن ذلك الحوار قد رقى إلى درجات من الإقناع والتواصل عالية بهدف الخيرية المطلقة في صورة أطرها الرحم وذوو القربى مشتركة مع سابقتيها من القصص في هذا وموضونة في ذلك النسيج، ومن هنا فقد ناسب تلك الظلال بقاء الباء المشددة مردوفة بالألف من الآية (41) حتى نهاية الحوار في الآية (48): {عسى ألا أكون بدعاء ربِّي شقيا}، ومن هنا فالإقناع دورها في رسم الجو العام للسورة مشكلة ما يمكن تسميته بوحدة السورة، وقد وهكذا تؤدي مظاهر الإقناع دورها في رسم الجو العام للسورة مشكلة ما يمكن تسميته بوحدة السورة، وقد كان من براعة الاستهلال أن بدأ حوار مع أبيه من خلال النداء (يا أبت) لخلق جو من التكافل الاجتماعي

استمالة لقلبه.

ومن هذا النداء المفعم بالعواطف الإنسانية ينطلق إبراهيم في حوارهِ، لتعلو درجة الإيقاع عن طريق الاستفهام القائم على إثارة القليق نفس أبيه {لَمْ تَعُدْ دَمَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يَبْصُرُ وَلَا يُغْذِي عَكَ شَيْئًا}، وقد مهد لتلك الفاصلة (شَيْئًا) بتقديم الجار والمجرور (عنك)، وخص السمع والبصر لكونهما أبرز الحواس، وختم بالنفي العام (ولا يعني عنك شيئاً) تأكيداً وتقريراً للنتيجة المترتبة على نفي السمع والبصر؛ إذ إن هبوب عاصفة الشك في ذهن والده ربما تشغله عن استنباط النتائج المنطقية التي يفضي إليها الكلام.

وقد حفلت جملة الحوار بالاستمرارية الزمنية والإيقاع عن طريق عطف الأفعال المضارعة المنفية بأداة موحدة هي (لا) في قوله {لَا يَسْمَعُ وَلَا يَبْصُرُ وَلَا يُغْذِي عَكَ شَيْئًا} ثم حذف المفعول به؛ لأن المهم لفت النظر للحدث نفسه في عموميته. وكما مهد للفاصلة بتقديم الجار والمجرور (عنك) على مفعول (يعني) كذا الأمر نفسه في لفظ (كان للرحمن عصياً) وقوله: (فتكون للشيطان ولياً) بتقديم الجار والمجرور على خبر الناسخ، والولي هو التابع المحب لكونه بمحض اختياره وكذا (إنه كان بي حفيداً) لقد قام هذا التقديم الشائع الذائع هنا في الفواصل الأربع الأخيرة بوظيفة مزدوجة؛ إذ منح المقدم أهمية بذكره أولاً كما أعطى الكلمة المرصودة للفاصلة نتوءاً وإبرازاً فأبرز التاليف في وقت واحد جميعاً معاً.

ولذا كانت الجملة الحوارية على لسان إبراهيم التزمت النغمة الهادئة، حيث لم يرد فيها استفهام "هل" أو بالهمزة، فيما يطلق عليه النغمة المتصاعدة، فإن أباه التزم في جملته الحوارية النغمة المتصاعدة؛ إذ صدر جملة الاستفهام بالهمزة (أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم)، متصاعدة لأن الحديث لم ينته بعد عندها، وإنما استطل لأنه يحتاج إلى إجابة ورد.

وهكذا، فإن "كل شيء في القرآن معجز من حيث قوة الإيقاع (الموسيقى) في حروفه وتآخيه في كلماته وتلاقي الكلمات في عباراته ونظمه المحكم في رنينه، وما وصل إليه من تأليف بين الكلمات، وكون كل كلمة لفظاً مع أختها، وكأنما نسيج كل واحدة قطعة منه تكمل صورته، وتوحد غايته، ومعانيه تجدها مؤتلفة مع ألفاظه، وكأن المعاني جاءت مؤاخية للألفاظ، وكأن الألفاظ قطعت لها وسويت على حجمها (أبو زهرة، 1970، 99).

لقد حفلت الآيات بحشد من النداءات التي تخللت الحوار، وسيطرت على بنية النص بحيث كادت في ظهورها أن تكون نتوءاً بارزاً لا تخطئه النظرة العجلى، الأمر الذي يفضي إلى اكتساء بنية النص وتراكيبه بطاقات دلالية من خلال انشغال دلالات هذا الأسلوب في تواشج بين مع بقية الظواهر التي لا يمكن بحال من الأحوال تغافلها؛ إذ إنها تتأزر معاً أخذاً وعطاءً تأثراً وتأثيراً، سواء أكان ذلك على المستوى الصوتي أم الصرفي أم المعجمي أم التركيبي مما هو من وكّد البحث تجليته ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

أما في حوار إبراهيم مع أبيه فقد أزعج النداء خمس مرات: أربع منها على لسان إبراهيم مخاطباً أباه: يا أبيت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يعني عنك شيئاً، يا أبيت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فابعثني أهدك صراطاً سوياً، يا أبيت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً، يا أبيت إني أخاف أن يمسخ عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً) وواحدة منها على لسان أبيه: (أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم).

وفي ذلك التصرف الندائي في الوحدات الثلاثة دلالات والمعاني جماليات نحوصلها فيما يلي مشفوعة

بمناسبتها دون عزلها عن سياقها:

ورد النداء في حوار إبراهيم مع أبيه خمس مرات:

(يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا).

(يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَ نَزِيٍّ مِنَ الْعِلْمِ لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْكَ صِرَاطًا سَوِيًّا).

(يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا).

(يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا).

(قَالَ لَقَدْ أَنْتَ عَنِ اللَّهِ تَبِي يَا إِبْرَاهِيمَ لَدُنْ لَمْ تَتَّهَ لَارْحَمَتِكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا).

كان أهم ما يميز نداء إبراهيم أباه بعد إضافته لياء متكلمه هو التكرار: فالتاء في (يا أبت) في الأصل عوض عن الياء؛ " قالوا في: يا أبي، يا أمي: يا أبت، يا أمت، يا أبت، وبأمت، فجعلوا التاء عوضا عن الياء ولذلك لم تجتمع إلا في الضرورة، كقول الشاعر (الأعشى، 1974، 37، وابن مالك، 1990، 3: 37).

فيا أبتا لا تزل عندنا فإنا نخاف بأن تخرم

لقد أنشأ نوعا من العلاقة الطيبة والانتماء بالإضافة لياء متكلمه، كما كان هذا التماثل في التركيب

بتصدير الله أو ما يمكن تسميته بالنقطيع العمودي مفضيا إلى ضرب من التوحد، (يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ)، وهذا ما يسمى بالعلاقات الرأسية، وذلك وسيلة من وسائل الترابط النصي.

#### تابع النداء:

ولئن كان النقابل أبرز ما يلفت نظر المتوسم في نداء قوم مريم والتوكيد لقد كان التنوع في الأسلوب والتردد بين الخبر والإنشاء رافعا أصيلا في تابع النداء هنا، مما كان وسيلة لتحريك الذهن وإثراء المستمع؛ وفي حوار إبراهيم بدأ بالاستفهام ملودا بتكرار النفي: (لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا) ثم التقرير المؤكد ب(إن) وقد (إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك) ثم النهي (لا تعبد الشيطان) وأكد ب(إن): (إن الشيطان كان للرحمن عَصِيًّا) ثم التقرير بالجملة الاسمية المقيدة ب(إن) المؤكدة وخبرها الجملة الفعلية الدائرة في فلك ماضي الخوف (إني أخاف أن يمسه عذاب من الرحمن)، فعد هذا أدبا من إبراهيم لأن الله وحده هو الذي من شأنه تقرير العذاب؛ فإبراهيم يخاف لكنه لم يحكم بالعذاب على أبيه، ثم إنه ساق الجار والمجرور من الرحمن ليومي بأن الجرم بشع فالتعذيب من الرحمن الذي من شأنه الرحمة، لكن لما كان الجرم كبيرا والاثم عظيما وجب العذاب.

إن التأمل في التراكيب القرآنية باب واسع لا تتقصى عجائبه فلا حد لجماله ودقة إكامه وروعة نسقه، ومن يطالع هذا السفر الخالد فسيدد بإمعان: (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عَدُوِّ اللَّهِ لَیُوجِبُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) (النساء: 81).

#### الخاتمة

هذه بعض أهم النتائج التي برزت من خلال العرض وهي:

- 1- تكمن جماليات تلقي نداء زكريا في الخروج عن المؤلف والحذف الذي وسع مساحة الشعور والتخيل بين المعطى المحسوس والإدراك الحسي مما زاد قوة المعنى المراد.
- 2- لكل فكرة إيقاعها المناسب من حيث طبيعتها وطريقة عرضها ليؤدي إيقاع الفواصل دوره في التأثير على

نفسية المتلقي، فجو المعجزات والغرائب والبشارات المتهادية الإيقاع في سكينه، ووقار يختلف عن جو إظهار الحقائق ودفع الشك.

3- يعد التنوع في الأسلوب والتردد بين الخبر والإنشاء في التركيب رافداً أصيلاً في تابع النداء في السورة، مما كان وسيلة لتحريك الذهن وإشراك المستمع.

4- إن التقابل بين الجمليتين التابعتين للنداء {لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا (27) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ أَمْراً سَوْءٌ وَمَلَكٌ مَّمْلُوكٌ بَعْغِيًّا} قد نقل الإحساس بالفكرة وعمقها، وهو وسيلة لإثراء الدلالة من خلال الجمع المباشر الفجائي بين وحدتين متقابلتين، وهذا ما يمكننا وصفه بالمفارقة التصويرية التي تقوم على إبراز التناقض بين طرفين كان من شأنهما التوحد.

5- تتجلى جماليات وحدة النداء في حوار إبراهيم مع أبيه في التقديم والتأخير المرتبط بالفاصلة الحافل بالاستمرارية الزمنية والإيقاع من خلال عطف الأفعال المضارعة المنفية بأداة واحدة هي (لا).

#### المراجع والمصادر

- 1- فطوم، مراد حسن (2013) التلقي في النقد العربي في القرن الرابع الهجري، الهيئة السورية للكتاب، وزارة الثقافة دمشق (عدد الصفحات: 336)
- 2- حمداوي، جميل (2015) نظريات القراءة في النقد الأدبي، الألوكة للطباعة (عدد الصفحات: 65)
- 3- الدسوقي، محمد السيد أحمد (2008) جماليات التلقي وإعادة إنتاج الدلالة دراسة في لسانية النص الأدبي، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ط 1، كفر الشيخ (236).
- 4- محمد، عشتار داود (2005) الإشارة الجمالية في المثل القرآني، منشورات اتحاد الكُتّاب العرب، دمشق (142).
- 5- الجرجاني، عبد القاهر عبد الرحمن (1992) دلائل الإعجاز، تعليق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، ط 3، القاهرة (684).
- 6- صبيح، محمد (1983) بحث جديد عن القرآن الكريم، دار الشروق، ط 3، (ع ص 272).
- 7- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (2003) لسان العرب، دار صادر، 15 جزءاً الجزء 14، (ع ص 399).
- 8- تركي، مبارك (2007) النداء بين النحويين والبلاغيين، حوليات التراث، جامعة مستغانم الجزائر العدد 7، عدد الصفحات 169، من 135-147.
- 9- فارس، أحمد محمد (1985) النداء في اللغة والقرآن، دار الفكر اللبناني، ط 1، (183).
- 10- حسن، عباس (د ت) النحو الوافي، دار المعارف ط 3، مصر (803).
- 11- برجستراسر، ج (1994) التطور النحوي للغة العربية، أخرجه وصححه رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي ط 2، القاهرة (231).
- 12- عياد، شكري (1992) مدخل إلى علم الأسلوب، المشروع للطباعة والنشر، ط 2، (146).
- 13- عبد اللطيف، محمد حماسة (د ت) العلامة الإعرابية في الجملة العربية بين القديم والحديث، دار الفكر العربي القاهرة (424).

- 14- عبد الباقي، محمد فواد(1364هـ) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مطبعة دار الحكمة القاهرة (781)
- 15- عضيمة، محمد عبد الخالق(1404هـ) دراسات لأسلوب القرآن الكريم، دار الحديث القاهرة القسم الأول الجزء الثالث (599).
- 16- إبراهيم، سيد قطب(2003) في ظلال القرآن، دار الشروق، ط 32، (هذه الطبعة صفحتها متتابعة سورة مريم من 2298-2322).
- 17- عيد، محمد (1975)، النحو المصفي، مكتبة الشباب القاهرة . (645).
- 18- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين،(د.ت) الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة الإرشاد المملكة العربية السعودية 4 أجزاء الجزء الرابع 356.
- 19- ابن الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد، (1996) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر دار الباز بمكة المكرمة، (880).
- 20- ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبد الله الأندلسي (1990) شرح التسهيل، تحقيق الدكتور عبد الرحمن السيد والدكتور محمد بدوي المختون، نشر دار هجر بالقاهرة 4 أجزاء الجزء الثالث (474)
- 21- الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (1407هـ) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، نشر دار الكتاب العربي، ط3 بيروت، 4 أجزاء الجزء الثالث (619)
- 22- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر،(1423هـ 2003م) الجامع لأحكام القرآن تحقيق هشام سمير البخاري، نشر دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية الجزء 11 (315)
- 23- العاني، سلمان حسن،(1403هـ : 1983م) التشكيل الصوتي للغة العربية، ترجمة الدكتور ياسر الملاح، الطبعة الأولى، نشر النادي الثقافي بجدة، (172)
- 24- ابن جني أبو الفتح عثمان (1407 هـ، 1987م) الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، ط الثالثة، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الجزء الثالث(423)
- 25- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار(1995) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، الجزء الثالث (519)
- 26- زايد، علي عشري (1981م) عن بناء القصيدة العربية، طبعة دار الفصحى، نشر مكتبة دار العروبة الكويت، (675).
- 27- أبو زهرة، محمد بن أحمد(1970)، المعجزة الكبرى..القرآن، نشر دار الفكر العربي (650)
- 28- الأعشى، ميمون بن قيس، (1974) ديوان الأعشى الكبير شرح وتعليق د/ محمد حسين، دار النهضة بيروت،(446).